غرائب الاتفاق

يقال ان الناس اذا زادوا علمًا قلَّ بينهم من يدَّعي عمل الغرائب وشاهدهُ ان الساحر يتجنب اهل المعارف ويابى البحث ويكره الاستفهام عن دقائق السحر مخافة ان يكشف بطلان صناعتهِ ولذلك يزوي سرَّ صناعتهِ عن اصحاب العقول الثاقبة ويطلب معاشر الجهل الكثيرين التصديق وكذا المشعبذ والمنجم ونحوهما من حملة العلم اسرار فنونهم حتى لم يعد يخدع بخداعهم الاَّ المجلون في الحكم على غير بحث وروية . على ان الانسان لا يزال عرضةً للانخداع مهما كان منصبهُ بين اصحاب العلم والذكاء فربَّ فيلسوف شهير يخدع بامور لا يخدع بها الطفل الصغير وذلك لاتفاق حدوثها في احوال غير منتظرة. فمن يطالع تواريخ عظماء الارض يجد ان بعضهم كانوا لا يسافرون في اوقات معيَّنة لاعتقادهم انها تجر الشؤوم عليهم وبعضهم يتطيَّرون بغيرهم او ببعض الطير والحيوان وبعضهم يقدِّرون الخيبة اذا راموا النجاح في قضية او يقدِّرون وقوع حادثة اذا راموا عدم وقوعها زاعمين ان الامور لا تجري الاَّ بخلاف ما يقدِّرون وقس على ذلك كثيرًا من الخرافات التي لم تترسخ في العقول الاَّ باتفاق حدوثها مرة او مرَّات بحيث ان هذا الاتفاق يجتذب النفس قسرًا الى التصديق كما يقول بوجان سي الكاتب الفرنساوي الشهير . ان اسمى الناس عقلاً قد يصدق بخرافات لا يصدِّق بها الاطفال . وبناسب قولهُ اقتناع الناس بصدق تدجيل الدجَّالين مطلقًا اذا صدق تدجيلهم مرةً او مرتين . وتصديق الناس من هذا القبيل اعمى خالٍ عن البحث خلوًّا تامًّا لشدة ما يكون عندهم من الميل اليهِ كما يتضح من طب الزجاج الازرق الفن الذي شاع في هذا الاثناء في الولايات المتحدة باميركا ولم يُفسَد الاَّ بعد البحث الطويل . واصلهُ ان رجلاً ادَّعى شفاء عدة من المرضى بمجرد عرضهم على اشعة الشمس بعد نفوذها زجاجًا ازرق واخذ يعلِّل بتعاليل متنوِّعة ان في الزجاج الازرق قوَّة لشفاء الامراض . فما لبث ادعاؤهُ ان شاع وتناقلتهُ الجرائد وكثرت اثباتاتهُ في صحف الاخبار وعمَّ استعمالهُ في نواحي الولايات المتحدة . ان الموجوع يتعلق بحبال الهواء . وكثر بسببهِ الشفاء لاشتداد الوهم بصحتهِ حتى ان الذي لم يشفَ كان يدَّعي الشفاء خوفًا من ان يشذَّ عن رفقائهِ . وراجت بسببهِ صناعة الزجَّاجين واي رواج فكنت ترى الاقداح والكؤوس والقناديل والشبابيك وسائر الآنية من زجاج ازرق حتى قام اصحاب الحق وبينوا فسادهُ بعد ان بقيت المناقشات زمانًا جارية على قدم وساق . ومع ذلك فلا يزال الدجالون يدجلون بهِ عندهم كما يدجل عندنا بعض الايطاليانيين بالتنويم (الهوسمابولسم والمسمرم) ويدَّعون باستحضار الارواح طمعًا بكسب الاموال وكما يتعيش غيرهم بالتنجيم والسحر والمندل فيذعرون البسطاء بظهور ذوات الاذناب او بالخسوف او الكسوف او بعين زبد او وجه عمرو ونحو ذلك من الامور المتعددة التي يستحي العاقل ان يراها جارية امامهُ ويبقى صامتًا عنها